

تحليل قصيدة (كلمات " سبارتاكوس " الأخيرة) للشاعر أمل دنقل المقدمة : وفيها نتناول ملبسات ظهور الخطاب الشعري العربي المعاصر تاريخيا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ، والتي أنتجت خطاب تكسير البنية . إنه الشاعر أمل دنقل ؛ ولد في 23 يونيو 1940 بصعيد مصر ، انتقل الى القاهرة بعد إتمامه الطور الثانوي من تعليمه ؛ ليلتحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب . كانت الكلمة الشعرية سلاحه الأدبي في مواجهته رداءة الظرف التاريخي الذي عرف نكبة 1948 وهزيمة حزيران 1967 . الى أن دامه عدو لا تنفع معه الكلمات / داء السرطان الفتاك ، فلم يمهلته لتجاوز سن 43 من العمر ، فكان موته فقدان صوت يتميز بشهادته على عهد التردي والإحباط . من أبرز ما خلف للقراء ديوان " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " ومنه أخذت القصيدة التي بين أيدينا .

العرض : وخلالها نلاحظ على بنية القصيدة أنها خرقت النظام الشعري التقليدي (العمودي) بخروجها وتكسيروها للبنية النظمية النمطية . حيث لا تقيد بنظام الشطرين المتناظرين ولا بروي موحد أو قافية كذلك . أما العنوان / عتبة النص فنجدته يتكون - تركيبيا - من المبتدأ وهو عبارة عن مضاف ومضاف إليه (كلمات سبارتاكوس) والخبر جاء صفة (الأخيرة) ، - أما دلاليا - فإن لفظة (كلمات) أنت لتدل على معنى مجازي يتجاوز دلالة المفردات المتناثرة بشكل غير ذي سياق ؛ بل لها دلالة أعمق وأدق لما يتعلق السياق بصفة الإخبار (الأخيرة) وخصوصا إذا ارتبط الموقف بكلمات أخيرة لإنسان / شخص سبارتاكوس . وهي الدلالة التي تضعنا أمام شبه (وصية) يتركها هذا الإنسان الذي أشرف على النهاية / الموت ، ويتأكد لنا مدلول الوصية من خلال صلب القصيدة وتحديدا في السطرين الشعريين (8 و 9) عندما يقول الشاعر : " لكنني أوصيك . إن تشأ شئنا الجميع / أن ترحم الشجر " . أما من حيث مضمون النص ومعجمه فهناك مؤشرات لفظية تمكننا من تقسيم القصيدة إلى ثلاثة مقاطع ؛ قد تسهل علينا فهم الخطاب العام للقصيدة وذلك كالآتي : أ - ففي المقطع الأول ما بين السطرين (1 و 6) يعكس الشاعر حالة مناداة صادرة عن صاحب الوصية ، وهو نداء موجه إلى أناس يعتبرهم إخوة له بحكم انتمائهم إلى صفة / صف منحني الرؤوس (العبيد) . وذلك وسط ميدان / ساحة من يتحكم في مصيرهم جميعا ، يناديهم ليوجه إليهم دعوته الأخيرة كي يرفعوا هاماتهم ويفخروا بكونهم يمثلون فريقهم / صف الراغبين في التحرر؛ حتى يواجهوا المصير بشجاعة وكرامة . ويستشهد بتجربة (سيزيف) الذي كان شخصا صلبا عنيدا في مواجهة القدر/ قدر العذابات التي كانت مقترنة بحمل الصخرة إلى قمة الجبل كما تخبر الأسطورة بذلك . ب - ثم نجد الشاعر في المقطع الثاني ما بين السطرين (7 و 18) يكرر النداء لكنه - هذه المرة - موجه للمعتدي وليس للمعتدى عليه / للجلاد لا للضحية ، وذلك بتوجيهه خطابا إنسانيا يكشف تسلط الطاغية وعدوانيته . ويدعوه لاحترام تلك الوصية الواردة بين السطرين (8 و 9) . فالشاعر على لسان سبارتاكوس يدعو جلاده إلى الاستجابة لمطلبه الإنساني المتحضر ؛ لعله يثنيه عن إعدام عناصر الحياة المتمثلة في (الشجر والجذوع والظلال) ، ويحذر القاتل الجاني بأنه سوف يحتاج يوما ما إلى كل تلك العناصر عندما تنقلب الأحوال فيصبح من الباحثين عن حماية أو مأوى فلا يجدهما في قفار البيد ، ما دامت الأشجار والظلال قد أهدمت بأمر منه لتنصب مشانقا . وهكذا يضع الشاعر أمام هذا الطاغية صورة لردعه عساه يتراجع عن بطشه بالأبرياء . يقوم الشاعر بكل ذلك وهو يحاصر هذا المعتدي / القاتل بصفته السلطوية ؛ تلك الصفة المناقضة لكل ما هو إنساني متميز بالدفء العاطفي عندما يناديه " يا قيصر الصقيع " لفقدانه المشاعر النبيلة اتجاه أخيه الإنسان ، وتنجلي هذه الميزة السلطوية في النص من خلال الإصرار على تكرارها (ثلاث مرات) . ت - وفي المقطع الثالث والأخير (ما بين السطرين 19 و 22) نجد شخص الضحية / سبارتاكوس يعود لمناداة رفاق الصف / إخوته في المعاناة والقهر ؛ ليكشف أحوالهم المأساوية من خلال مشهد مأساوي يرصد وضعهم المهين . ثم في الختام يعلن رفضه تلك النزعة الانتزارية الواهمة التي يتبناها البعض وهو ينشد تغيير وضعه الاستبداد . فنسمع سبارتاكوس يندب أتباعه باستمرارية العبودية ما دامت الأحلام لا تجدي نفعا ؛ وما دام زوال المعتدي أو موته لن يأتي إلا بمعتد جديد . وهكذا يتضح الطابع التحريضي لوصية سبارتاكوس / للخطاب الشعري لأمل دنقل ، النار ، الرحمة ، الجوع ، الظمأ ، الحلم ، الإحناء وهناك حقل دال على الزمان (المساء ، الصيف ، الربيع) . غير أن الملاحظ على المعجم الدال على الذات / ذات الضحية نجده مهيمنا على النص بكامله (على لسان صاحب الوصية) وخلالها نجد الشاعر يتوارى خلف قناع ذلك الزعيم التاريخي (سبارتاكوس) ، وهكذا جاء الخطاب الشعري للنص متأرجحا ما بين الرغبة في التأثير بقصد إشراك المتلقي في غمرة الشعور الإنساني بذلك الوضع المأساوي ؛ وبين السعي لإقناع نفس المتلقي بفداحة الموقف العدواني من طرف المستبد / القاتل . وقد كان الشاعر يسلك - إلى جانب التأثير والإقناع - مسلك الترغيب والترهيب كما في الوحدة النظمية الدلالية التالية (الأسطر 12 ، 13 ، 14 ، 15 ، 16 ، 17) . ومما يضيف لمسة تراثية على النص توظيف الشاعر بعض المحسنات اللفظية مثل (الربيع - الصيف / النار - الصقيع / الظلال - الهجير) ولكن ذلك التوظيف جاء في سياق منظومة شعرية وليس بصيغة البديع التقليدي .

فمن خلال ما يعرف بأسلوب المقابلة نجد الربيع يقابله الشجر والجذوع والظلال ، ونجد الصيف في مقابل الصحراء والرمال والهجير والظمأ (لتتجلى ثنائية النعيم والشقاء) فهو يضع الجاني بين خيارين. وكأن القارئ (ة) أمام أحد مشاهد أفلام التاريخ القديم والتي تسجل فشل حركة تمرد ما أو ثورة لم تلبث أن انتهت بهزيمة المتمردين الساخطين . لقد أبدع الشاعر في هذا التصوير دونما حاجة إلى بعض التقنيات البلاغية التقليدية (كالتشبيه مثلا) . ولنقرأ معا قول أمل دنقل في المقطع الأول وهو يصور مشهد زعيم الثوار spartacus مصلوبا / بؤرة اللحظات المؤثرة في النص الى جانب نصب الجذوع مشانق ، حيث لم يستطع أتباعه من العبيد رفع رؤوسهم ليروه مصلوبا بعدما تجرأ على حمل السلاح في وجه سادات المجتمع الروماني وعلى رأسهم القيصر . وهناك مشهد آخر في الأسطر (14 ، 15 ، 16 ، 17) ؛ والذي يصور فيه دنقل حالة الطاغية وهو يتيه في البيداء بدون مأوى أو ملجأ يحتمي به من قساوة القيط ، فمثلا نجد في السطر الأول التقطيع الآتي " يا إخوتل / لذين يع / برون فل / ميدان مط / رقين من / " . وإلى جانب الإيقاع الخارجي نجد تنوعا آخر في الإيقاع الداخلي ؛ ونلاحظ ذلك بخصوص الروي (ما بين النون والياء والهاء والكاف والعين والراء واللام والذال) ، وهو ما يضعنا أمام تنوع آخر يتعلق باختلاف القوافي ، فهناك القافية المركبة كما هو الحال بين الأسطر (8 ، 11 ، 13 / 14 ، 12 ، 13 / 19 ، 20 / 21 ، 2 ، 3 / 7 ، 8 ، 9) . ومن مظاهر الإيقاع الداخلي كذلك ؛ تكرار بعض الحروف التي تشكل الأرواء ، وكذا تكرار بعض الألفاظ ذات الميزان الصرفي المتماثل مثل (مطرقين ، الضلوع / الربيع ، الصقيع / الظلال ، الرمال / سعيد ، جديد) وهو ما يعرف في البلاغة التقليدية بالسجع . أما الموقف الفكري من خلال التيمات المهيمنة في النص ؛ فيتجلى في التعبير عن إرادة التحرر باعتماد خطاب التحدي ، رغم أن التيمتين الملحوظتين في النص هما الانكسار / الخضوع (مطرقين ، منحدرين ، في انحناء) و القهر / الاستبداد (الموت ، الفناء ، القتل) . لكن موقف التمرد والتحدي والكبرياء يبدو من خلال (لاتخجلوا / ولترفعوا عيونكم / رفعتم رؤوسكم مرة / لاتحلموا) . وهكذا يمكن إدراك الرؤية الشعرية التي يمكن رصدها من خلال مواقف الشاعر ؛ وذلك عبر فهم الرسالة الإبداعية التي تعكس النظرة الواقعية للصراع بين العبيد والأسياد والتي لم يعد صاحبها يقتنع بالأمانى الحالمة لحسم ذلك الصراع . الخاتمة :